

إشكالية تطبيق المنهج التجريبي على الظواهر الإنسانية

أهداف الدرس :

- التعرف على إمكانية الدراسة العلمية للظواهر الإنسانية.
 - تنمية القدرة على تفسير مختلف الظواهر الإنسانية بعيدا عن النظرة العامة.
 - المدة اللازمة : (5) ساعات.
 - المراجع : (إن أمكن الحصول عليها).
 - المنطق جميل صليبا.
 - علم النفس جميل صليبا.
 - المنهج العلمي و تفسير السلوك
- د/ محمد عماد الدين اسماعيل.

تصميم الدرس

تمهيد

(مفهوم العلوم الإنسانية و الأبعاد المختلفة للإنسان)

1 - طبيعة الموضوع والعوائق الاستمولوجية في العلوم

الإنسانية و تعدد المناهج :

أ - في التاريخ.. ب - في علم النفس / إشكال الظواهر النفسية و تعدد المناهج.

2 - قيمة العلوم الإنسانية.

3 - أسئلة التصحيح الذاتي. 4 - أجوبة التصحيح الذاتي

تمهيد :

شهدت العلوم الطّبيعية تطورا زاخرا نتيجة تطبيقها للمنهج التجريبي، إذ تمكن العلماء من إخضاع الظاهرة الفيزيائية، و الظاهرة البيولوجية للتّجريب، و تمكنوا كذلك من تجاوز قسما وفيرا من العوائق الابستمولوجية خاصة تلك المتعلقة بالظواهر الحيوية. هناك ظواهر أخرى تتعلق بأبعاد الإنسان المختلفة، من حيث هو كائن ينخرط في جماعة و يتفاعل معها، و قد تمارس عليه تأثيرات مختلفة، و من حيث هو كائن ذو بعد تاريخي، يستفيد من ماضية، إنه لا يعيش في الزمان فحسب بل يعي هذا الزمان، ويتشوّق إلى معرفة مجريات الحوادث فيه، وهذا الإنسان كائن يزخر بجملة من الميول و الرغبات والانفعالات يطمح إلى تفسيرها و فهمها. جملة هذه الظواهر المسماة " إنسانية " جديرة هي الأخرى بالدراسة، فما هي الأسباب المحدثة لها ؟ و هل هناك إمكانية للتحكم فيها ؟ فلما تحدث ؟ و كيف ؟. للآجابة على هذه الأسئلة وجب إخضاع الظاهرة الإنسانية إلى المنهج التجريبي، لكن هل هذا ممكن ؟ و هل هناك تقنيات إجرائية تخوّل للعلماء تطبيق المنهج العلمي على الظواهر الإنسانية رغم تعقّدها و تشابكها و صعوبة ملاحظتها ؟.

1 - طبيعة الموضوع والعوائق الابستمولوجية في العلوم الإنسانية و تعدّد المناهج :

تطمح العلوم الإنسانية إلى دراسة الواقع الإنساني بحوادثه المختلفة، لكن تلاقيها عوائق ابستمولوجية بعضها يرجع إلى طبيعة الموضوع و البعض الآخر يرجع إلى صعوبة ملائمة المنهج العلمي وتحقيقه إمكانات التطبيق على الظواهر الإنسانية، مما يثير عدة تساؤلات:

- هل الموضوعية ممكنة المنال في ميدان دراسة الظواهر الإنسانية ؟

إنه لمن السهل دراسة الحديد و الشجر و الحيوان لأنها حوادث خارجة عنا، مستقلة عن ميولنا و رغباتنا، و هي قابلة لأن تكون موضوع تأمل حيادي، الذي هو شرط ضروري لقيام المعرفة العلمية، فإذا كان هذا ممكنا من زاوية دراسة الظواهر الطّبيعية، فإنه من العسير أن يكون بالمثل في ميدان الظاهرة الإنسانية. الباحث هو الإنسان بالذات بمعنى أن الدارس و المدروس شيء واحد، فالموضوع هنا له صلة

وثيقة بالذات الدارسة. إن الحكم على الظاهرة الإنسانية قد يحمل في طياته اعتبارات ذاتية مشحونة بطبيعة الدارس و تجربته و ثقافته و نزواته.

- هل الملاحظة غير المباشرة ليست عائقاً أمام العالم في مجال دراسة الظواهر الإنسانية ؟
الظواهر الإنسانية تلاحظ ملاحظة غير مباشرة كونها زمانية لامكانية، بمعنى أنها لا تشغل حيزاً يمكن مراقبتها من خلاله. فالحوادث النفسية سواء كانت شعورية أو لا شعورية فهي تجري في الزمان، و إن أمكن ملاحظة انعكاساتها على العضوية، كما هو الحال في الانفعال الهيجاني، هذه الملاحظة غير مباشرة، و مهما كان فإن الظاهرة شيء آخر. كذلك بالنسبة للحوادث التاريخي فهو حادث ماضٍ، و المؤرخ يقف على لآثاره محاولاً بذلك استجلاء أمره.

- هل يمكن إخضاع الظاهرة الإنسانية إلى التجريب ؟..
إن العالم لا يمكنه أن يتجرد من الأحكام المعيارية التي قد تعيقه عن تحليل الظاهرة و إحاطتها بالتفسير الموضوعي.
النظرية العلمية تفرض عليها الملاحظة الواقعية، تفرض عليها تفسير ما هو موجود بالفعل و صياغة ذلك في أحكام تقريرية، أي اتصاف تفسيراتنا هذه بالموضوعية.

و بالرغم من وجود هذه العوائق، استطاع المختصون في ميدان هذه العلوم ابتكار مناهج مكنتهم اقتحام ميدان الظواهر الإنسانية، و لازالت هذه المناهج محلّ تطوير ومحلّ مواءمة أكثر فأكثر مع طبيعة الظاهرة الإنسانية ذاتها. وسنطّلع على الطرق المتبعة في معرفة الحوادث التاريخية و الحوادث النفسية لنستبصر من خلال ذلك العوائق الابستمولوجية وإمكانات تجاوزها.

أ - في التاريخ :

موضوع التاريخ الحوادث الإنسانية الاجتماعية المتسلسلة عبر الزمان، و للحوادث التاريخي صفاته المميزة له من الحوادث النفسية و الاجتماعية.

1 - إنّه إنساني :

و هذا يعني أن التاريخ هو ما يحدث للأنسان، فتاريخ الصخور والبحار و الأنهار لا يتعرض له المؤرخ وإن تعرض لحادثة طبيعية فإنه لا يتناولها إلا من زاوية تأثيرها على الإنسان، فزلزال الشلف مثلاً وإن كان حادثة طبيعية، فإنه يدخل في عداد الظواهر التاريخية لأنه أثر في مصير مجموعة من السكان.

2 - إنه اجتماعي :

الشخص الواحد لا يستطيع أن يصنع التاريخ إلا إذا تفاعلت أفكاره و اتجاهته مع الجماهير، فالاشادة بالأبطال مرتبطة بمدى نجاحهم في التأثير على الجماعة.

3- إنه فريد من نوعه :

بمعنى أنه يحدث مرة واحدة، فالحرب العالمية الثانية ليست هي الأولى تكررّت، إذ هناك اختلاف في الأسباب و النتائج و الأوضاع والأشخاص. لكل حادث تاريخي زمانه و مكانه و هو لا يقع مرتين بل مرة واحدة لا غير. هذا بالإضافة إلى أنه خاضع للملاحظة غير المباشرة باعتباره ماضيا، إننا نلاحظه من خلال الآثار التي يخلّقه، سواء أكانت مخلّقات مادية أو ثقافية.

منهجه :

1 - جمع المصادر :

من الأعمال الهامة التي يقوم بها المؤرخ الحصول على أفضل مادة التي يبحثها، فهو يبحث عن الآثار العديدة والمتنوعة التي تدل على الأحداث الماضية، و ينتقي منها الشواهد التي تتعلق بالمشكلة. تنقسم هذه المصادر إلى إرادية و هي التي كتبها أصحابها لأجل نقل الحوادث للأجيال القادمة، إنها مقصودة و المصادر غير الإرادية خلّقها أناس دون أي قصد تاريخي، و إنما رموا من وراء ذلك جانب المتعة الجمالية، وكتاب " البخلاء " للجاحظ أو مقامات الهمداني كتبت لأغراض أدبية تستشف منها صور حياة المجتمع في مأكله و ملبسه. و مثل هذه المصادر تبقى ضالة المؤرخ المنشودة كونها تبتعد من التزييف و التحريف.

2 - مرحلة التحليل التاريخي :

(النقد الخارجي و الباطني للوثائق)

يجب على المؤرخ أن يكون كيميائيا للتحقق من الوثيقة، إنه يفحص المادة المكتوب بها و المادة المكتوب عليها. و قد يجد نفسه أمام سيل من الأسئلة: - متى و لماذا ظهرت هذه الوثيقة ؟ من مؤلفها ؟ هل هذه هي النسخة الأصلية ؟ هل كتبها هذا الشخص بالذات ؟ أم شخص آخر استعار اسمه ؟.

و قد يتطلبه أغلب الأحيان بذل جهود مرهقة و ماهرة أشبه بالأعمال البوليسية للتحقق من شخصية المؤلف، أو تتبع أصول الوثائق المجهولة للكاتب أو غير المؤرخة.

و يجب على المؤرخ أن يكون عالم نفس كذلك في مرحلة النقد الباطني للوثائق.
هل صاحب الوثيقة كتب حرّاً أم مجبراً ؟

ألم يكتب بضغط أو إغراءات ؟ فهل عبّر عن مشاعره الحقيقية ؟ هل عالج الموضوع بطريقة جادة أم فكاهية أو ساخرة أو زميرية أو مذهبية ؟ هل نقل الحادث غثّاً أو سمينا كما قال ابن خلدون ؟. و الإلمام بالظروف الجغرافية والاجتماعية و السياسية والاقتصادية التي جرى فيها الحادث أمر مهم بالنسبة للمؤرخ، مهم لإعادة تركيب الحوادث ذهنياً و معايرة إمكانية وقوعها أمام المؤرخ إذن أعمال شاقة عليه باكتساب قدرات متعددة، إنه يحتاج إلى الألفة بفقه اللغة و إلى معلومات في الانتروبولوجيا وعلم الخرائط و علم النقود و علوم الخط و غيرها. و بناء على هذا يبذل قصارى جهده لتمحيص الخبر و تحقيق عمل جليل للإنسانية.

3 - مرحلة التركيب التاريخي :

بعد تحقّقه من وقوع الحادث، يلجأ المؤرخ إلى التركيب. الحادث التاريخي لا يروى بطريقة اعتباطية، إنه لا يكتسي أهمية تاريخية إلاّ بعد إدراجه في سياقه الزمني و المكاني وتآلفه مع مجموع الحوادث العامة.

و كثيراً ما يجد المؤرخ نفسه أمام فجوات، فتكون السلسلة فاقدة لإحدى حلقاتها، و ها هنا و بالاعتماد على الحوادث السابقة، و الحوادث اللاحقة، يملأ المؤرخ هذه الثغرات التي لم تتحدث عنها الوثائق، و لم يشهد عليها شاهد. فالمؤرخ إذن يجمع بين الحدس العلمي و الحدس الفني، عليه اتباع منهجية عرض راقية تمكنه ترتيب الحوادث حسب التسلسل الزمني للوقوع، و حسب الأسباب والمسببات، مركزاً على الأسباب الفعالة، و على الحوادث التي تعتبر نقطة تحول في حياة المجتمع. و قد يضطر إلى تبرير بعض المواقف لأن الحادثة التاريخية الواحدة تنتج عن سلسلة من الحوادث سبقتها، و الوقوف على الصلة الرابطة بين مختلف هذه الأحداث ليس بالأمر الهين.

لقد نبّهنا ابن خلدون لذلك : " اعلم أن التاريخ فن عزيز المذهب، جمّ الفوائد، شريف الغاية . . . فهو محتاج إلى مآخذ متعددة، و معارف متنوعة، و حسن نظر وتثبيت يفضيان بصاحبهما إلى الحق و ينكبان به المزلات و المغالط".

ب - إشكالية الظواهر النفسية وتعدد المناهج في علم النفس :

موضوع علم النفس الظواهر النفسية، هذه الظواهر قد تتخذ شكلا شعوريا، فلا تحدث أثراً على العضوية مثل التخيل و التفكير و التذكر، و منها ما يتخذ شكلا فيزيولوجيا بمعنى أن الظاهرة تنعكس على العضوية مثل ردود الأفعال و الانفعالات الهيجانية كالغضب و الخوف و الخجل. و منها ما يتخذ شكلا لا شعوريا لا يمكن الاطلاع عليها إلا بواسطة التحليل النفسي. و نظرا لتعدد أشكال الظواهر النفسية سلك علم النفس مناهج متعددة و مختلفة من أبرزها :

1 - منهج الاستبطان :

و هو المعتمد في دراسة الظواهر الشعورية، غرضه فهم الحياة الداخلية معرفة ما يجري في العالم الداخلي للإنسان. الاستبطان هو تأمل موجه من الذات إلى أغوارها قصد الاطلاع على حوادثها الداخلية، إنه وعي الإنسان نفسه، وعي يستلزم معرفة الأحوال النفسية بواسطة أنا متميز و منفصل عنها. بالاستنباط تمكن علماء النفس من معرفة الشعور ومميزاته و تداعي المعاني و قوانينها و العواطف و أنواعها. و على الرغم من النقد الذي وُجّه إلى هذا المذهب، فإنه يبقى السبيل الوحيد و الأوضح الذي هو بحوزتنا حتى الآن لمعرفة الظواهر النفسية ذات الشكل الشعوري التي لا أثر لها على مستوى العضوية.

2 - المنهج التجريبي :

و هو المنهج المتبع للطريقة العلمية : - الملاحظة - الفرض - التجريب. و هو يهتم بالظواهر النفسية التي تتخذ شكلا فيزيولوجيا. يقول (واطسون) زعيم المدرسة السلوكية : " بأن دراسة ردود الفعل التي يمكن أن تلاحظ بشكل موضوعي و التي يؤديها الجسم جوابا منه على المثيرات التي تخضع للملاحظة و المراقبة التي تأتيها من البيئة المحيطة " و يعتمد هذا المنهج على الآلات والأجهزة للقياس والتسجيل، وابتكر وسائل مختلفة لتفسير هذه الظواهر، كما يعتمد على المقارنة مثلما هو الحال في سلوك الطفل و سلوك الحيوان. و على الرغم من اعتراف أنصار هذا المنهج بالظواهر النفسية التي لا انعكاس عضوي لها كمثل الشعور الذي اعتبره (واطسون) "خرافة ميتافيزيقية" أي لا وجود له، فإن هذا المنهج حقق نتائج معتبرة و دفع علم النفس أحسن دفع نحو التطور. بواسطة هذا المنهج تمكن

العلماء من معرفة بعض أسباب الهيجانات مثل الخوف و الخجل، و كذلك أنواع المنبهات و الاستجابات، و كيفية تكوين العادات و كيفية كفّها، و مجالات بحثه أصبحت خصبة : - سلوك الحيوان و سلوك الطفل و سلوك المراهق، و الدوافع و غيرها.

3 - منهج التحليل النفسي :

لقد بينّا فيما سبق منهجين (الذاتي و الموضوعي) في دراسة الظاهرة الانسانية النفسية، الأول اقتصر على الظواهر الشعورية، و الثاني على السلوك. تبقى ظواهر أخرى قوامها **اللاشعور**، لقد تباين مفعول اللاشعور بفضل مدرسة التحليل النفسي بزعامة (سيغموند فرويد S. Freud 1856 - 1939) الذي سلّط الأضواء على الجانب اللاشعوري من الإنسان، و أظهر فاعليته في مجمل الحياة النفسية.

و تعتمد المدرسة الفرويدية على منهج التداعي الحرّ للأفكار و فحواه إثارة المريض لسرد ما يجول بخاطره، و توفير كل ما يمكن أن يسهم في تسهيل التداعي لديه مثل الجلوس المستريح و الضوء اللطيف و غيرهما. .

المحلل النفسي يساعد المريض على طريق التغلب على المقاومة و هي عامل نفسي يمنع تسرّب أفكاره من اللاشعور إلى الشعور و كأن المحلل يطلب منه أن يتحرّر من الرقابة الاجتماعية و العقلية. بذلك يتعرف المحلل النفسي على الرغبات المكبوتة، الرغبات المدفوعة في اللاشعور، و بفضل هذه المحاور قد تطفو على ساحة الشعور. و قد وجد (فرويد) مجالات تمكنه النفاذ إلى الرغبات المكبوتة مثل الأحلام و فلتات اللسان و زلات القلم وغيرها.

لا أحد ينكر اليوم جدوى التحليل النفسي في علاج الاضطرابات النفسية و العصبية و الكشف عن تأثير تجارب الطفولة في سلوك الراشدين، و قد قدم هذا العلم خدمات كثيرة للمربين منبّها إلى خطورة القمع، و ما يؤدي إليه الكبت القاسي من اضطرابات في الشخصية.

و على الرغم من أن (فرويد) أرجع كل تصرفات الإنسان إلى اللاشعور و بالضبط إلى " **الليبيدو** " " الغريزة المكبوتة " يبقى منهجه الوسيلة الوحيدة لمعرفة الظواهر النفسية اللاشعورية، و بذلك يبقى التحليل النفسي قائما مادام أنه يطبق في حدود أثبت فيها فاعليته و جدواه.

2 - قيمة العلوم الإنسانية :

التساؤل عن قيمة العلوم الإنسانية كمثل التساؤل عن قيمة العلوم الطبيعية، ما يميز العلم كنشاط إنساني أنه يهدف إلى كشف العلاقات بين الظواهر و كشف العلاقات والفهم شيء واحد. بدون العلوم الإنسانية تبقى الظواهر الانسانية غامضة غير مفهومة.

3- أسئلة التصحيح الذاتي :

- قيل أن المؤرخ يصنع نفسه في صناعه للتاريخ. بين موقفك بعد التحليل؟.
- لماذا تعددت المناهج في علم النفس ؟.
- قال مفكر معاصر : " إن أمل البشرية الوحيد في الخلاص من أزمتها الحالية هو في فهمها لطبيعتها أي في تقدمها العلمي في مجال السلوك الإنساني " . حلل هذا الرأي متخذاً موقفاً منه

4 - أجوبة التصحيح الذاتي :

الإجابة على السؤال الأول :
الطريقة الاستقصائية :

طلب الإحاطة :

كلّ دارس لعلم ما، يؤثر ذلك العلم في شخصيته، فدارس الرياضيات تتكوّن لديه قدرات و مهارات و يكتسب إجراءات، مثل القدرة الاستدلالية و غيرها. فما الآثار التي يتركها التاريخ في شخصية الفرد ؟

بيان طبيعته و إثبات وجوده :

منهج التاريخ	اقتدرات و المهارات المكوّنة
جمع الوثائق	- إكتساب مهارة اختيار المراجع.
ترتيب الوثائق	- إكتساب ثقافة واسعة.
	* تنمية مهارة التنظيم.
	* تنمية حبّ الاستطلاع.
النقد الخارجي للوثائق	> إكتساب معارف في الكيمياء.
	> إكتساب معارف في علوم الخط
النقد الباطني للوثائق	> إكتساب معارف في علم الآثار وغيرهم في العلوم
	* إكتساب معارف في علم النفس
	* تنمية الرّوح النقدي
	* تنمية قدرة التخيل (عن طريق إعادة بناء
التركيب التاريخي	الحوادث
	اكتساب منهجية عرض جادة
	تنمية المقدرة على ترتيب الحوادث الإنسانية
	اكتساب معارف في علم الاجتماع.

بيان قيمته :

التأريخ أقوى العلوم تأثيرا على صاحبه بإعلاء و تقوية شخصية القائم به.

بيان الحقيقة :

بقدر ما يتأثر المؤرخ بعمله بقدر ما يفيد وطنه و أمته وحتى الإنسانية جمعاء.
و الهدف الثاني للعلم هو التنبؤ الذي يبنى على الفهم ويقوم على أساسه، الفهم هو نقطة البدء التي يمكن أن ندخل منها إلى المجهول مرة أخرى.
و التنبؤ يكون جزءا من خطة التحقيق التي نختبر بها صحة معلوماتنا فإذا ثبت صحة تنبؤاتنا فإن معني ذلك أن المعلومات التي أقمنا التنبؤ على أساسها صحيحة.

التحكم هو الهدف الثالث للعلم باعتباره نشاطا يهدف به الإنسان إلى السيطرة على الطبيعة لتحقيق أحسن تكيف ممكن بالنسبة له، و الهدفان الأولان يخدمان هذا. لقد حققت العلوم الإنسانية نجاحا معتبرا في ميادين عديدة، فبضل علم النفس

تخلصت البشرية من عدة أمراض نفسية و بفضل علم الإجتماع تخلصت من عدة أمراض اجتماعية و إذا عددنا فروع أحدهما إلتابنا الاقتناع بفاعليتهما و ضرورتهما : علم النفس العام، و علم النفس المقارن، و علم نفس الطفل، و علم نفس المراهق، علم نفس الراشد، علم النفسي المرضي، علم النفس اللغوي، التربوي، صناعي، الحربي . . . فكما أن العلوم الفيزيائية و الكيميائية و البيولوجية ضرورية لأي تقدم، كذلك العلوم الإنسانية تزداد ضرورتها بقدر تطور البشرية وتبقى ضرورية لكل مجتمع.

مشكلة المعرفة

أهداف الدرس :

- معرفية : الاطلاع على الإشكال الفلسفي والابستمولوجي للمعرفة.
- سلوكية : تنمية القدرة على التفكير الحر والنقد المنطقي.
- المدة اللازمة : (4) ساعات.
- المراجع : (إن أمكن الحصول عليها).
- الفلسفة الانجليزية في مئة عام - رودلف متس.
- ترجمه فؤاد زكريا و مراجعة زكي نجيب محمود (ج 2).
- التفكير العلمي. فؤاد زكريا.
- قضايا معاصرة في الفكر الغربي
- المعاصر. حسن حنفي.

تصميم الدرس

تمهيد

- 1 - في الفلسفة : - المثالية - الواقعية،
- النقدية - الذرائعية
- 2 - في الابستمولوجيا.
- 3- طبيعة المعرفة العلمية و حدودها.
- 4 - أسئلة التصحيح الذاتي.
- 5 - أجوبة التصحيح الذاتي.

تمهيد :

تناولنا مناهج العلوم الطّبيعية و العلوم الإنسانيّة، هذه المناهج أرساها العلماء للكشف عن العلاقات الموجودة بين مختلف الظواهر أي لنيل المعرفة، و باعتبار الفلسفة تساؤلات نقدية تنصبّ على المنتج الثقافي لتفهمه وتقوّمه، كان لزاما عليها طرح مشكلة المعرفة :

ما طبيعة المعرفة ؟ و هل هي ممكنة على وجه الإطلاق أم على وجه النسبة ؟ هل المعارف التي بحوزتنا حقائق ؟ ما أجدى الوسائل الموصلة إلى معرفة حقيقية ؟ هل يمكن ردّ كلّ هذه المعارف إلى وسيلة وحيدة أم وسائل متعدّدة ؟ و ما هي هذه الوسيلة أو الوسائل ؟ . . .

كل هذه التساؤلات هي طرح إشكالي لمشكل المعرفة ؟ و لا يمكن الإجابة عليها إلّا من خلال مواقف فلسفية نتعرّض لبعض منها.

1 - في الفلسفة :

أ - المذهب المثالي :

يرتبط مصطلح المثالية عادة بأفلاطون، إنه يميّز بين عالمين : - عالم الحسّ و هو عالم الأشياء المحيطة بنا. وعالم علويّ معقول و يمثل مستوى الحقيقة الثابتة، هذا العالم هو عالم المثل العليا.

يرى أفلاطون أن الرّوح كانت في عالم النّثل قبل أن تسقط في قفص الجسم، و أفلاطون معروف بنظرية غير ممكنة إلّا في هذا العالم العلوي، والمعارف التي هي بحوزتنا هي آثار الحقائق التي بقيت في الرّوح بعد مغادرتها عالم المثل.

فالتّصور الذي هو لدينا عن الخير لا يمثل حقيقة الخير، والوصول إلى حقيقة الخير أمر مثالي لا يمكن للإنسان بلوغه إلّا في عالم الأرواح، و كذلك العدالة و السعادة والفضيلة و غيرها، ففي نظر أفلاطون، المعارف من طبيعة عقلية ووسيلة عقلية إلّا أنّها ليست حقائق كاملة، هناك حقيقة هناك نسخة غير كاملة من الحقيقة، الأولى ليست بحوزتنا و لا وبإمكاننا و الثانية بحوزتنا وبإمكاننا عن طريق العقل لا عن طريق الحواس.

نقد :

إن التطور الذي أحرزه علم النفس في مجال دراسة النمو العقلي للطفل بيّن أن الوليد البشري لا يملك أية معرفة فطريّة كما زعم أفلاطون، فالطفل يولد مزوّدًا بخاصيّة الاكتساب الذي بفضلّه يكتسب المعرفة بالتدرّج وبالتناسب مع قدراته الذهنية علاوة على ذلك، أثبتت العلوم التجريبيّة إمكانية المعرفة عن طريق الحواس والعقل معاً. أليس القانون العلمي حقيقة ؟. ألم يختبر عن طريق التجريب أولاً ثم عن طريق التنبؤ ثانياً. فإمكانهم اليوم التنبؤ في مجالات كثيرة.

ب - المذهب الواقعي :

يرى الواقعيون أن أساس كل معرفة هو التجربة و الحس، فما هو موجود في الأذهان موجود في الأعيان، فلا قدرة للعقل في إنشاء المعرفة. إن المعارف بمختلف أصنافها، أن العقل يولد صفحة بيضاء، ليس فيه أي شيء قبل التجربة، فلا يوجد في العقل إلا ما مرّ بالحواس، و في نظره التجربة نوعان : منها ما يتصل بالأشياء الخارجية، و منها ما يتصل بالحوال النفسية. الحواس تنقل إلى الذهن صور الممسوسات العقل ويشكل منها صوراً ذهنية أي معانٍ. و يرى (هيوم 1711 - 1776) أن فكرة العلية اكتسبها الإنسان بفضل العادة، إنها انطباع حسي وارد من التجربة فالعلة هي شيء سابق لآخر ومقترن به، و بحكم العادة اكتسب الإنسان هذه الاقترانية. فالعقل غير قادر على إنشاء المعارف بالاعتماد على نفسه. كل الأفكار التي بحوزته هي نسخ معنوية مثل الصور الشمسية عن الأصل الذي هو العالم المحسوس، والحقيقة هنا معيارها تطابق هذه الصور مع أصلها.

نقد :

لا يمكن إنكار قدرة العقل في إنشاء المعارف في الرياضيات مثلاً قفز العقل إلى الأعداد الخيالية اللانهايات والمجموعات الخالية. و في ميدان الفلسفة تأمل موضوعات ميتافيزيقية، و كل هذا لا مقابل له في الواقع، زيادة على ذلك أن مطابقة الفكرة للواقع أمر يستحيل، فالصورة الذهنية من طبيعة معنوية و الواقع من طبيعة مادية.

ج - النزعة النقدية :

يدعونا كانط (1724 - 1804) إلى نقد عقولنا و معرفة المبادئ التي تقوم عليها أحكامنا لتتوصل في الأخير إلى حقائق ولكن لا الحقائق المطلقة بل الحقائق البسيطة يرى أن نقطة البدء في كل معرفة هي التجربة لأن ما يبنيه الإنسان هو ما يؤثر فيه من موضوعات الحسية، غير أن المعرفة ليست كلية كما زعم التجريبيون بل معرفة أولية مستقلة عن التجربة و الحس، و هي ضرورية. و المعرفة الأولية هذه ليست تلك الأفكار الفطرية كما زعم أفلاطون، و إنما هي عبارة عن شروط قائمة في الذهن، أي شروط المعرفة، وسائل تكوين المعرفة هذه الشروط ليست معارف بالمعنى المتداول و لا أفكار جاهزة، إنها شروط ضرورية كلية إذا توفرت معها معطيات الحس تكونت من ذلك معارف علمية حقة. و (كانت) لا يعتمد على التجربة فقط، و لا على العقل وحده، بل عليهما معاً. المعرفة تتكوّن من الحس و مما هو موجود في العقل، (شروط المعرفة). و المهمة النقدية للمعرفة هي العمل على تبيان ما يردُّ إلينا من الخارج، و ما نُضْفِيه نحن على المعطيات الحسية.

نقد :

جعل (كانط) وظيفة في تحليل إمكانيات من أجل إدراك الواقع إدراكا علميا، و قسّم العقل إلى نظري و علمي، و جعل من مهمة النظري إدراك الظواهر فحسب و العلمي (الضمير الأخلاقي) إدراك الباطن.

و اعتبر كانط القبلي شرطا للبعدي و أساسا له، أي أنه مثل (ديكارت) الذي جعل مسلمات عقلية فطرية، وجعلها أساس إدراك الواقع، و شرط إمكان التجربة. و التجربة مستحيلة بدون شرطها القبلي في الفكر، و بالتالي يستحيل ادراك العالم أو معرفته إن لم تكن هناك هذه القوالب القبلية، و لا تستطيع المعرفة أن تعطينا إلا ما تعطيه التجربة و بالتالي فهي لا تستطيع إدراك الموضوعات النظرية الصرفة، و هذا ظاهر في كتاب كانط "مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة يمكن أن تكون علما " والإشكال الذي يبقى قائما : كيف يمكن إثبات وجود هذه الشروط و إثبات فطريتها أي قبيلتها؟.

د - المذهب الذرائعي (البراغماتي) :

اعتمدت المذاهب الحسية على الحواس في الحصول على المعرفة، و اعتمدت المذاهب العقلية على فروض ومقدمات عقلية و هنا تأتي الذرائعية موجهة كل جهدها إلى حلّ هذا الإشكال. أول من صاغ اصطلاح " براغما " بيرس و معناه " علمي أو صالح لغرض معين أو يؤدي إلى الغرض المطلوب " ثم تناوله (وليم جيمس) و فصله في نظام فلسفي حتى أصبح هذا المذهب يعرف به.

زعم (بيرس) في مفتتح البراغماتية أن الفكرة خطوة تمهيدية للعمل و لأحداث النتائج في هذا العالم، ثم زاد (وليم جيمس) على هذا أن كل عقيدة تؤدي إلى نتيجة مرضية أو حسنة، إنما هي عقيدة حقيقية، وليست الفكرة مشروعا للعمل فقط، إذ نتائج العمل هي الدليل على صحة الفكرة، النتائج التي ستترتب على الفكرة هي برهان على صحة الفكرة أو عدم صحتها، فالفكرة رهينة وظيفتها، إذا كانت لها وظيفة ذات مردود نافع هي صائبة و صوابها هو نفعها وصلاحها.

نقد :

ليس من المعقول وضع الحقيقة و المنفعة على قدم المساواة و كأن " كل ما هو صحيح نافع " يقابل " كل ما نافع صحيح " ربط هذه الحقيقة بالمردود النافع يفقدها جزءاً من هويتها، الحقيقة موضوعية.

و إذا جعلنا " النتائج العلمية النافعة " معيارا لها تصبح نسبية للإخر. زد إلى ذلك أن الضارّ نافع من وجهة إنه بعلمي الابتعاد منه في المستقبل.

2 - في الإبستمولوجيا :

يتميّز الإبستمولوجي بين نوعين من المعارف، المعارف ذات الصنف الحسي، و أصلها تجريبي و منهجها واقعي، والمعارف ذات الصنف الذهني، و أصلها عقلي و منهجها إستدلالي تأملي. كلّ هذه المعارف تتطلب نشاطا من الذات التي تريد أن تعرف، كونها تقوم بإجراءات، هذه الإجراءات هي جملة المناهج المتبعة في مختلف العلوم. المعرفة ليست أمرا جاهزا، إنها مرهونة بالشروط المكوّنة و الشروط المكوّنة. للذات العارفة وزن لدى الإبستمولوجيين كونها تقوم بإجراءات لنيل المعرفة معتمدة في ذلك على الحواس والعقل معا، وعلى جهدها في تطوير المنهاج، و في تطوير نفسها. الرّوح العلمي يطرّوّر نفسه بواسطة الماضي الماضي ضروري له، إذ

لا بدّ له أن يستفيد من الأخطاء المرتكبة في الماضي، لذا فتاريخ العلوم هو مخبر بالنسبة له. تاريخ العلوم عند الإبستمولوجيين هو مجهر العقل، به يطلع على التفكير الإيجابي التفكير السلبي، الأول نحتفظ به، و الثاني نتخلّى عنه و نرفضه و(القطيعة الإبستمولوجية) تاريخ العلوم يخول لنا إنارة الطريق القادم، فالوصول إلى المعرفة يحتاج هنا إلى الفلسفة، فلسفة من نوع جديد فيلسوفها لا يكون متمذهباً، لا مثلياً و لا واقعيّاً و لا ذرائعيّاً، فيلسوف يعي التأثير المتبادل بين ما هو تجريبي و ما هو عقلي، فالتجريب بحاجة إلى العقل، والعقل بحاجة إلى التطبيق، و الفلسفة تتقدم في نظرا الإبستمولوجي حينما تخضع العلوم إلى التفلسف.

و هكذا بيّن باشلار في كتاب "فلسفة اللاّ " أن العلم يأمر الفلسفة، وفي كتاب " الروح العلمي الجديد " أن العلم يَنشأ من الفلسفة لاشك أن الإبستمولوجية هي نظرة نقدية للمعرفة، هذه النظرة هي وعي الإنسانية لمعرفتها، و المعرفة موضوع عام في الفلسفات المعاصرة، إلّا أن الإبستمولوجيين لم يصلوا بعد إلى غرضهم النهائي و هو إيجاد معيار واحد عام لاختبار حقيقة المعرفة.

3 - طبيعة المعرفة العلميّة :

لقد أكد كانت من قبل أن المعرفة العلميّة ممكنة ما دامت المعرفة عند الإنسان قائمة على أساس العقل من جهة و التجريب من جهة أخرى. لكن المعرفة العلميّة في نظر باشلار لم تعد مجرد امتداد للمعرفة الحسية كما كان الاعتقاد سائداً في القديم. إنها في نظره في قطيعة مع المعرفة الحسية، فالحرارة اليوم تقاس بـ (الترمومتر) لا بإحساسنا بها. الموضوعية العلميّة ليست مطلقة لأن الذات تتسرب إلى أكثر المناهج وصرامة، و لأن الحياة اللاشعورية ذات أثر واضح في المعرفة العلميّة و في التفكير العلمي.

- و لكن رغم تعطيل هذه العوائق للمعرفة العلميّة، إلّا أنها من جهة أخرى تعتبر عن النوع من الضرورة الوظيفية للعمل العلمي إذ لا عمل علمي دون عوائق إبستمولوجية مادام وجودها هو الذي يدعونا إلى ضرورة وعيها و العمل على تجاوزها و نسبياً كما هو الحال في الانتقال الذي تم من فيزياء نيوتن إلى نظرية النسبية ثم إلى الميكروفيزياء.

و هذا التجاوز هو ما يدعوه باشلار بالقطيعة الابستمولوجية. - ثم إن العلم اليوم لا يعطينا امتلاك للواقع بل الواقع هو الذي يصيرامثالاً، إنه اليوم ذو صبغة تجريدية متحررة من الرجوع إلى الواقع المباشر، و لم تعد التجربة اليوم هي الحكم الأعلى للعلم بل أصبحت عملاً نظرياً يدخل في تكوين التطور العلمي، و لا النظريات العلمية مجرد فروض تمهد للبحث كما كان حالها سابقاً بل هي اليوم الخطوة الأولى في البحث العلمي بدل الملاحظة لأن وضعها أصبح يتم بالاستنباط، لذلك أصبح العالم هو الصورة الدائمة التي يعطيها إياها العلم، و ليس ذاك الذي تحققه التجربة. فالواقع كما يقول باشلار: "ليس هو دائماً ما نعتقد به بل هو ما كان ينبغي لنا إدراكه".

أما تقدم العلم فهو قائم أساساً على الانفصال و القطيعة والندم المتواصل ونقد العقل لنفسه، و التفتح الدائم.

حدود المعرفة العلمية :

و مادام الأمر كما قلنا سابقاً فإن العلم في حاجة إلى فلسفة نقدية تبين له حدوده، و تكتشف له عن أخطائه و عوائقه وتحرره من التبعية للمقاييس القارة المطلقة، و هذه الفلسفة هي الابستمولوجية التي تعمل على هدم مفاهيم الفلسفة التقليدية المؤثرة في العلم كمفهوم الجوهر، والحقيقة، و البداهة، و الواقع، و على تجاوز ركائزها الأساسية قصد خلخلة مختلف الأزواج التي تقوم عليها الفلسفات التقليدية مثل : العقل / المادة - الواقع / العقل - المادة / الفكر .

هذه النظرة الجديدة أكدت قيم الفكر النظري و التجريبي معا أنتهت وإلى عقلانية جديدة تربط بين العقلانية والتجريبية أي عقلانية يؤازرها العلم، لأن التجريبية في حاجة إلى العقلانية أي نظريات و العقلانية في حاجة إلى براهين و إلى تطبيقات تؤكدوها. و هو أمر يتطلب فلسفة ثنائية الاتجاه تحقق التطور الجدلي للمعرفة و للعلم ويؤكد نسبة المعرفة العلمية و حدودها و تفتحها الدائم وقابليتها للتصحيح.

4 - أسئلة التصحيح الذاتي :

- يرى (فون هوجل) أن المعرفة تشترك فيها عناصر ثلاثة :
- الذات -الموضوع - لوظيفة الفكرية.
- حلل هذا الرأي متخذا موقفا منه.
- هل الطريقة العلمية كفيلة بمنح الإنسان المعارف في جميع الميادين ؟

5..- أجوبة التصحيح الذاتي :

الإجابة على السؤال الثاني :

الطريقة استقصائية :

المدخل :

انبهار الناس بالتطور الذي أحرزه العلم و بنتائحه، خاصة الجانب التكنولوجي جعلهم يثقون ثقة مطلقة بأن العلم قادر على تفسير كل مجالات الوجود.

بيان طبيعته و إثبات وجوده :

الفيزياء و الكيمياء : بيان ميدانها و مدى تطورها.

البيولوجيا : بيان ميدانه و مدى تطورها.

العلوم الإنسانية : بيان استطاعة العلم اقتحام مجال الظواهر الإنسانية (علم النفس و علم الاجتماع).

بيان قيمته :

على الرغم من التطور الذي بلغته في ميدان هذه العلوم، الطريقة العلمية غير مجدية في مجالات عديدة لا يمكن بحثها إلا بالفلسفة كالحرية و المسؤولية و القيم وغيرها.

بيان الحقيقة :

التقدم الحقيقي يمكن في المزاجية بين التطور العلمي والتطور الفلسفي. الفلسفة لا تقل ضرورتها عن ضرورة العلم.

مشكلة مصير الإنسان

أهداف الدرس :

- معرفية : إدراك طبيعة مشكلة مصير الإنسان و أبعادها المختلفة.
- سلوكية : تنمية القدرة على إتخاذ موقف تأملي إزاء مشكلة تخصّ الوجود.
- المدة اللازمة : (2) سا . نظري، (2) سا . تطبيقي.
- المراجع : (إن أمكن الحصول عليها).
- الإنسان فرد لا جماعة يوسف الحوراني.
- الإنسان ذلك المجهول أليكس كاريل.
- الإسلام و النصرانية بين العلم و المدينة محمد عبده.
- الإسلام عقيدة و شريعة محمود شلتوت.

تصميم الدرس

تمهيد

- 1 - العلم و التكنولوجيا و مشكلة مصير الإنسان.
- 2 - الفلسفة و مصير الإنسان.
- 3- الدين و موقفه من مصير الإنسان.
- 4- أسئلة التصحيح الذاتي.
- 5 - أجوبة التصحيح الذاتي.

تمهيد :

لا يمكن لأية ذاكرة إنسانية الإلمام بالمعارف التي أصبحت البشرية مالكة إيّاها اليوم، و حتى في الاختصاص الواحد يتعذر ذلك. ابتكر الإنسان ذاكرة آلية و هذا دليل على ضخامة التراكم المعارفي. و كل هذه المعارف لم تشفِ غليل الإنسان، إذ تبقى قضايا كثيرة محلّ تساؤلات ترفق الفكر تلاحقه، من بينها مشكلة المصير، خاصة و أن الإنسان هو الكائن والوحيد الذي وضع نفسه موضع تساؤل : - ماهو ؟ ما أصل وجوده ؟ و ما غايته ؟ وإلى أين يؤول ؟ تلکم هي تساؤلات تلازم الوجود الإنساني و بالرغم من انغماسه في شؤون حياته اليومية، فإنه يشعر دائماً برغبته في معرفة ماهيّته، وبالأخص حينما تتأزم مواقف حياته. قد يلجأ إلى السّحر والتنجيم طامحاً و طامعاً في إيجاد ضالته على الرغم من غرابة هذه الوسائل و بعدها عن العقل و المنطق. إنه لمن الطبيعي أن تشار مشكلة المصير الإنساني و هي إشكالية قائمة ليس في حقل الفكر الفلسفي فقط.

1- العلم و التكنولوجيا و مصير الإنسان :

الطريق الوحيد الذي يعرف به الإنسان ماهيّته هو العلم، لقد بين علم الأحياء المتماثلة بين الإنسان و الحيوان من حيث البنية البيولوجية، و قد اعتبر (داروين Darwin 1809 - 1882) صاحب (نظرية التطور) الإنسان خلاصة الكائنات الحيّة، إنه حيوان من طراز خاص يقع في آخر السلسلة والطريق الوحيد نحو الكمال في نظر العلماء والتكنولوجيين، هو العلم والإيمان بمستقبل العلم، فهو بلا شك سيسعد الإنسان و ليس من المستبعد أن تصبح السعادة التي تخيلها طائفاً استحالة وجودها، سعادة واقعية في دنيا العلى و التكنولوجيا اللذان يعملان لأجلها، و ليست القصص الخيالية و الأساطير التي تخيلها الشعراء قديماً إلاّ أحلاماً يكاد العلم أن يحققها حديثاً. لقد اقترب من إمكانية لجم الذرة و التصرف بطاقتها لأغراض الصناعة و الزراعة، و ظهرت بؤادر حسنة في علم الحياة بواسطة الاستملاء الموجّه، و بواسطة عملية التهجين في الخلية الجنسية، و الوصول من ذلك على أنواع من الحيوانات والنباتات تقوى و تثبت أمام عوادي الطبيعة. و هناك تجارب تكاثرت بالنجاح في اختبارات التهجين، كذلك التي قام بها العاملان السويديان (هاجفست و بآن) باستيلاء زوج من الأرانب عملاق بالنسبة للأرانب العادية، كما

استطاع بعض العلماء في روسيا إيجاد أنواع ممتازة من الخضر و النباتات العادية المألوفة كالبنندورة والباذنجان و الكتان، و توليد أنواع جديدة خصبة، لها قوة على مقاومة عوامل الطبيعة، و ليس من المستبعد أن تتحقق هذه التجارب في الإنسان يوما ما فيصير الإنسان عملاقا أو عفريتاً، فيضحى العلم يقظة، و الخيال حقيقة. و لا ريب من أن يتوصل العلم إلى فهم نظام الخلية الحيّة فهماً دقيقاً و عندئذ يصبح قادراً على توجيه صفات الكائن الحي كما يريد.

مناقشة :

إن النظرية العلمية غير كافية لتفسير ماهيّة الإنسان، فكائننا الواعي ما يزال بحاجة إلى نظرية جديدة تفسر لنا معنى وعيه و تطوّر هذا الوعي. و أثره في مادة الجسم ونقاطها، و إنساننا الحاضر ليس خلاصة نوعه و سلالته، إنه نتيجة وعيه و إدراكه. لقد دعا الجراح الأنجليزي (أليكس كاريل) صاحب كتاب " الإنسان ذلك المجهول " دعوة ملحّة دراسة الإنسان ككلّ شامل بنفسه و جسده، الإنسان لا يتوقف على جانبي الجسم والنفس فحسب إذ له جوانب أخرى ربّما أكثرها لازال مجهولاً، ولذلك قال العالم النفسي (رولوماي) : " إذا كنا عازمين على أن لدرس الإنسان و نفهمه فنحن بحاجة إلى نموذج إنساني ".

2 – الفلسفة و مصير الإنسان :

يرى الفلاسفة أنّه من الخطأ الجسيم اعتبار مستقبل الإنسان مرتبطاً بما يصل إليه من ابتكار علمي تكنولوجي فنظرة بسيطة إلى مجتمعات المدنية الحاضرة و ما تعانيه من أمراض و ما يلمّ بها من آلام وقلق تؤكد لنا هذا الخطأ، فلا الكهرباء و لا الذرة، و لا جميع الرفاهية الحديثة استطاعت أن تجعل الإنسان قويا ذا مناعة تقويه المرض و الألم والخوف من إمكانية الفناء نتيجة الأسلحة الذرية. المدنية الحديثة سلبته أشياء كثيرة دون أن نعوضه بشيء ذي قيمة، و هنا تبرز مهمة الفلسفة و مهمّة الفعل الفلسفي الذي ينبغي تطويره في جميع المباحث، مبحث الوجود، مبحث المعرفة، و مبحث القيم الأخلاقية والجمالية. لقد أفرطت الإنسانية في التقدم العلمي والتكنولوجي و فرطت في التقدم الفلسفي. إنّ إنسانية هذا القرن مشلولة أحد رجليها، كونها ركزت على الطريقة التجريبية أكثر من تركيزها على التأمل، ومستقبل الإنسانية مرهون بمدى تقدمها في

المجال الفلسفي أورد الفلاسفة تعريفات مختلفة للإنسان، منها أنه كائن عاقل، يتكلم، اجتماعي، سياسي، أخلاقي، ذو أبعاد. عند (هيدجر) يعي الماضي و الحاضر والمستقبل، كائن حرّ . وكل هذه المميزات لا يمكنها بناء تعريف دقيق مبيّن لجميع الصفات الماهويّة للكائن البشري، فلا زلنا بحاجة إلى فلسفة، بل فلسفات تنير لنا هذه الماهيّة و تبصّرنا بما يؤول إليه هذا الكائن الثُّغر.

مناقشة :

إذا كانت الطريقة العلميّة وحدها عاجزة عن حل مشكلة المصير، فما المبرر من أن طريقة التأمل ستكون قادرة على حل لغز المصير. فما المانع من وجود منهج آخر مجهول لحد الآن يفوق الطريقة التجريبية والطريقة الفلسفية معاً؟.

3 – الدّين ومصير الإنسان :

ترى الأديان السّماوية من مسيحية و إسلام أن الإنسان لم يوجد فوق هذه الرض لمجرّد الصدف و لم يخلق عبثاً، و ليس هو مجرّد حدث عرضي بدون غاية، إنه مخلوق لم يقترب من الكمال الروحاني، ولا يقترب من هذا الكمال إلّا بخضوعه للأوامر الإلهية. ومصير الإنسان الحقيقي هو مصير فوق أرضي، إنه كائن مسافر كما قال (غابريال مارسال) مسافر في هذا العالم، ينتهي به السّقر إلى العالم الإلهي حيث يتحقّق مصيره الأبدي.

و الإيمان باليوم الآخر في الإسلام جزء من الإيمان و قد عبّر عنه القرآن الكريم باليوم الآخر، و أرشد إلى أنه خاتمة المطاف بالإنسان، و أن إليه تنتهي الغاية من خلق الإنسان و " أن ليسَ للإنسان إلا ما سعى و أن سعيه سوف يُرى، ثم يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى و أن إلى ربّك المنتهى " (سورة النجم، الآيات 39 - 42). و النعيم أو الجحيم مرتبط بما اختاره لنفيه في الحياة الدنيا، فهي دار جزاء عل ما قدّم من عمل، و قد عبّر عن نعيمه و جحيمه بالجنة و النار. و قد أشعر الله سبحانه و تعالى الإنسان أنه بسطّ الكون أمامه و سخره له ليعمل و يكافح " هو الذي خلق لكم الأرض جميعاً " - (سورة البقرة - الآية 29) وفي هذا السبيل سخرّ له الشمس و القمر، و الليل و النهار و الأرض و الجبال، ووجهه إلى البحث و النظر في هذا الكون، واستخراج أسرارها، والانتفاع بذخائرها كما جاء في سورة الأعراف، الآية 32 " قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده و الطيبات من الرزق "

وكانت عناية الإسلام بالخلق عناية عظيمة، و قد كثرت توصيات الرسول صلى الله عليه و سلم في هذا الجانب حتى قال : " أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق " .

4 - أسئلة التصحيح الذاتي :

مشكلة مصير الإنسان من أكثر المشاكل استعصاء على العلم و على الفلسفة. بين ذلك .

قال محمد عبده في كتابه (الإسلام و النصرانية بين العلم و المدنية) :
" فإذا جمع سائق الأنفس و مُزجّيها و مرشدها و هاديتها بين شاحذين، شاحذ التمتع بمتاع الحياة الدنيا، و شاحذ الرغبة في النعيم الدائم في الآخرة. فقد جمع لها كل ما يسمو بها الرضا في الدون و في الآخرة بعذاب الهون، فترى كل نفس تمضي مع استعداد بشهامة فؤادها مضاء الزميع و لا تخشى العثرة بالوعيد، و لا تقعد عن مطلبها قعدة الرعديد فتطلب منافعها من هذا الكون الذي وجدت فيه ووجد لها، فتسير في مناكب الأرض و لا تكتفي عن الكل بالبعض. و تبحث في تربتها و لا يقف بها ظاهرها عن باطنها، و لا يحجبها ظاهرها عن مديدها إلى ما في جوفها، و لا تجد ما يصدّها عن النظر في الهواء و البحث في الماء. و الاهتداء بنجوم السماء، بعد معرفة مواقعها و حركتها في مداركها، و إستقامتها وإنحرافها و ظهورها و خنوسها، وبالجملّة فكل مستعد لوجه من وجوه النظر أو الولوج في باب من أبواب العلم، ينطلق إلى حيث يبلغ به استعداده، إما للنجاة من ضرورة، و إما لاستتمام منفعة أو استكمال لذة لا يجد من نواهي الدّين ما يصدّه عن مطلب، و لا يكف يده عن تناول رغبته، أين هذا من ذلك الذي لا يرى الخلاص إلا في مجافاة هذا العالم و لذائذه، و يجد أن الغنى والثروة من الحجب التي لا تخرق، تحول بينه و بين ملكوت السمّوات ؟.

- أكتب مقالاً فلسفياً تحلل فيه هذا النصّ.

الزميع :

هو الحازم القوي العزيمة، يزمع على الأمر فيمضي فيه ولا ينتني، و الجيّد الرأي المقدام.

الرّديد :

الجان الكثير الارتعاد.

5 - أجوبة التّصحيح الذاتي :

الجواب عن السؤال الثاني (النص) :

المقدمة :

محمد بن عبده خير الله أحد زعماء الإصلاح (1849 - 1905) تأثر بأفكار جمال الدين الأفغاني، و كانت له فلسفة نظرية في خدمة الإصلاح و تأكيد شريعته و شروطه.

و برنامج محمد عبده الإصلاحي يحتوي ثلاث نقاط أساسية أولها :

- إثبات الجوهر العقلاني للأسلام ضد التقليديين والخصوم المحدثين معاً، و ثانيها : - بناء أسس العقيدة على أسس عصرية (متفقة و معطيات العصر). و ثالثها : - إصلاح التعليم. و لتحقيق المهمة الأولى لا بدّ من محاربة الطرق الصوفية التي سيطرت على أفكار العامة، فولدت الاتكالية وترك العمل و الجهد، و كذلك محاربة أفكار المستشرقين الذين شوهوا الصورة الحقيقية للأسلام، وموازاة لهذا محاربة التيارات الملحدة المنكرة للمصير الأخروي للأنسان. ففي هذا الإطار جاء النص الذي بين أيدينا.

المشكلة :

- هل ركز الإسلام على مصالح الدنيا أم ركز على مصالح الآخرة ؟

التحليل :

يرى محمد عبده أن الله تبارك و تعالى خلق الكائن الإنساني بنظام منضود بقايلية أو إمكانية التمتع بمتاع الدنيا، وبقابلية النزوع الدائم للنعيم الأخروي، و النفس البشرية فطرها خالقها باستطاعة فعل الشر و باستطاعة فعل الخير، و إن اختارت المسلك الأول فهي لا تنجو من عذاب الهون، وإن اختارت المسلك أو المنجى الثاني عليها أن تكون عازمة لا تخشى الوعد و الوعيد، و في الوقت نفسه، لا تنسى نصيبها من الدنيا عليها بطلب منافعها في هذا الكون بالكّد والكذب لتجني ثمار عملها و ليعلم المسلم أن الأرض سخرها الله لبني آدم حتى ينتفعوا من منافعها،

فمن ذا الذي يصدّهم عن العمل وعن النّظر في الهواء، و البحث في الماء، والاهتداء بنجوم السّماء ؟ لقد فتح الإسلام باب النظر العقلي فليتدبروا في هذا الكون ويتأمّلوه، كل قدرَ قدرته و استعدادة، ولينطلقوا في العلم، به يتحرر المسلم و يتمكن من إشباع حاجاته في مالم يحرمه الشرع. الإسلام لم يأمر بهجر هذا العالم و مجافاته وترك لذائذه، فمن ظن أن الغنى والثروة من الأمور التي منعها الإسلام أو مقتها لكونها تصدّ عن العبادة فقد هوى إلى هلوية الكذب، إن افسلام الحنيف جمع بين مصالح الدّين والدنيا.

التقييم :

يتطرق محمد عبده في نصّه هذا إلى سلسلة من الأفكار استنتجها من تعاليم الإسلام و صاغها صياغة تتماشى وأسلوب عصره و ذلك من أجل تحقيق الهدف المنشود و هو الإصلاح. و النص موجه إلى تلك الطائفة من الأمة الإسلامية النتمسكة بتعاليم الصّوفية، و إلى طائفة المتأثرين بالمدنية الغربية و في نفس الوقت يتوجه بهذا النص إلى مسخ أفكار بعض المستشرقين الذين شهوّهوا الإسلام أمثال " تتمان " القائل في كت0ابه " المختصر في تاريخ الفلسفة " تحت عنوان عرب : - أن الدّين الإسلامي دين شهواني و أن الكتاب المقدس يعوق النظر العقلي، وأنه يطلب من المرء الإيمان الأعمى.

النتيجة :

لازالت الأمة الإسلامية بحاجة إلى مثل هذه النصوص مادام أمثال هذه الطوائف لاتزال موجودة.